أولا– العـــمـــــران:

يعتبر مجال نهر شلف أكبر المناطق إستقطابا للسكان في المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية، وهذا لتوفره على أهم عوامل الحياة والإستقرار والمتمثل في الماء مما يجود به نهر شلف، بالإضافة إلى خصوبة أراضي هذا المجال الجغرافي، وكذلك المناخ الجيد الكثير التساقط، وهذا ما يفسر في بادئ الأمر إنتشار عدة عناصر سكانية بهذه المنطقة على إختلاف أصولها وفروعها، والذي تمخض عنه ظهور مدن وقرى وأسواق على ضفتي هذا الرافد المائي وعلى ضفاف أوديته، وصفها رحالة وجغرافي الفترة الوسيطية في كتبهم بالمدن الأهلة بالسكان.

1–الـــمـــــدن:

أ– جيـــلداســـن:

تقع هذه المدينة في مجال نهر شلف وما يعزز هذا الطرح هو ما ذكره البكري بقوله:"جيلداسن .....بلدة طيبة بها عيون عذبة وهي مطلة على نهر شلف"[1]، ومما لاشك فيه أن هذه العيون كانت تصب أو تخرج من نهر شلف الذي يشق إقليم هذه المدينة، وهذه الأخيرة هي ملك لقبيلة مطغرة ومن أبرز ساكنتها الأندلسيون والقرويـــون[2] .

وهي مقسمة لعدوتين كما كان الحال بالنسبة إلى مدينة فاس التي كانت عدوتها الأولى للقرويين وعدوتها الثانية للأندلسين[3]، وعلى العموم فمدينة جيلداسن جاء وصفها بأنها مدينة طيبة ولطيفة أي قديمة [4]، وهذا يدل على كثرة خيراتها وإزدهار الحياة الاقتصادية بها وتوفر الأمن إلى جانب طيبة ساكنتها خاصة عهد البكري وتقع هذه المدينة على الطريق التجاري الذي يخرج من آشير باتجاه مدينة تنس على ساحل البحر المتوسط[5].

---

[1]– البكري: المصدر السابق، ص69.

[2]–البكري: المصدر السابق، ص69 ؛ ومبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص109 ؛ و صالح بن قربة وآخران: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص258.

[3]– صالح بن قربة وآخران: المرجع السابق، ص258.

[4]– البكري: المصدر السابق، ص69.

[5]– محمد الطمار: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص154.

ب- مليـــانـــة:

بكسر الميم وسكون اللام[1]، وياء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الألف نون وهي مدينة في آخر إفريقية[2] وهي مدينة رومية فيها أثار، جددها زيري بن مناد وأسكنها إبنه بلجين، وهي مدينة أولية شريفة تشرف على فحص شلف، وهي مدينة عامرة وأهلة بالسكان بها سوق جامعة [3]، وهذا يدل عراقتها، وعلى إرتفاع نسبة السكان بها وإزدهار الجانب التجاري الذي تعكس صورته سوقها الكبيرة.

قال فيها الإدريسي: "مدينة قديمة البناء خشنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي أكثر مزارعها وحدائقها وجناتها ولها أرحاء على نهرها المذكور ولإقليمها حظ من سقى نهر شلف" [4]، ومنه فإزدهارها لم يقتصر على الجانب التجاري بل شمل الجانب الفلاحي ويظهر هذا من خلال إمتلاك ساكنتها للمزارع والحدائق والتي وظفوا مياه نهر شلف في سقايتها.

كما قال فيها صاحب الإستبصار بأنها مدينة حصينة وتقع على سفح جبل زكار وهي أخصب بلاد إفريقية وأرخسها أسعارا[5]، وهذا إن دل على شيئ فإنه يدل على توفر الأمن بهذه المدينة، والرخاء الإقتصادي بها وفرة الإنتاج على إختلاف أنواعه والذي يدل عليه هو رخس الأسعار بهذه المدينة.

وقد ذكر بن خلدون أن من إختط مدينة مليانة هو بلكين بن زيري بن مناد بالعدوة الشرقية من نهر شلف[6]، لكني أظنه يقصد وسع المدينة لأنها مدينة رومانية قديمة، وبأمر من زيري شيد بلكين هذا مسجدا بمدينة مليانة [7]، وهذا يدل بالفعل أنهم عملوا على تعمير وتوسيع هذه المدينة، وهذا الجامع أعجب العبدري حتى قال فيه بأنه جامع مليح يدعو للشوق لمن رآه[8].

---

[1]- إبن الخطيب: المصدر السابق، ص63.

[2]- الحموي: المصدر السابق، ج5، ص195.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص69 ؛ ومبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص108.

[4]- أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي (ت.807هـ): **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** من كتاب (نزهة المشتاق في إختراق الآفاق)، مطبع بريل، ليدن، 1863،ص84-85.

[5]- مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، ص171.

[6]- إبن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص204.

[7]- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص223.

[8]- محمد العبدري البلنسي (ت.720هـ): **الرحلة المغربية** ، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحث والدراسات، الجزائر، 2007، ص47.

أما موقعها الجغرافي فهو أكثر من إستراتيجي فهي تبعد عن سوق كران (كرام) مرحلة[1]، والمسافة بينها وجبل وانشريس الذي يقع جنوبها مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين مدينة الخضراء مرحلة[2]، كما أنها تقع على الطريق التجاري الذي يخرج من قلعة بني حماد ويتجه إلى مدينة تنس[3].

ج- سوق إبراهيم:

هي مدينة صغيرة فيها سوق وحمام وهي على نهر شلف[4]، حسب بن حوقل، كما حذا حذوه الإدريسي معتبرا إياها مدينة صغيرة حيث نجده يشبهها بمدينة الغزة، وإذا أسقطنا وصفه لمدينة الغزة على سوق إبراهيم فهي إذا مدينة صغيرة القدر بها سوق مشهور ولهذا السوق يوم معلوم كما أن بها ديار حسنة [5]، ومزارع وهي من مدن تيهرت أي أنها كانت تحت سلطة صاحب تيهرت[6]، وهذا الوصف ربما يكون أطلق عليها في عهد الدولة الرستمية، ويصب بهذه المدينة نهر أسلي الذي يسقي سهولها[7]، وهي قريبة من ساحل البحر كما أنها قريبة من مدينة تنس [8]، ويذكر اليعقوبي بأنه عاصر أحد حكام هذه المدينة وهو عيسى بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن[9]، ويذهب كثيرون إلى أن إبراهيم والد عيسى هذا والذي عاصره اليعقوبي هو مؤسس هذه المدينة، وقدكان يشغل منصب عامل على تنس، بتكليف من والده الذي كان حاكما على تلمسان بأمر من الإمام إدريس الثاني (202هـ/817م)، كما أن هناك من يقول أن مؤسسها هو إبراهيم بن عيسى وليس إبراهيم والد عيسى لكن المؤكد أن مؤسسها لايخرج من هذه الأسرة، وحمل هذه المدينة عبارة سوق بإسمها يدل على أنها مدينة ذو صبغة تجارية وهذا بفضل الطرق التجارية التي تمر بإقليمها كالطريق التجاري من مدينة الخضراء إلى مدينة تنس وكذلك الطريق الأخر من مدينة الخضراء إلى مدينة تيهرت[10].

---

[1]- أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت.367هـ): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص89.

[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص84-85.

[3]- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ص143.

[4]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص83.

[6]-شمس الدين أبي عبد الله المقديسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، دار صادر، بيروت، د.ت، ص29.

[7]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص109.

[8]- أحمد بن أبي يعقوب بن الواضح الكاتب اليعقوبي: **البلدان**، مطبع ، بريل ، ليدن، 1860، ص142 ؛ ومبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق،ج2، ص109؛ وسعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي** (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990، ج3، ص414.

[9]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص143.

[10]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص362-363.

د- مـــديـــنـــة ســـــوق كـــــزيـــانـــــة:

تقع مدينة سوق كزيانة على نهر شلف، ذكرها الإدريسي بأن لها مزارع وأسواق وأكبر سوق بهذه المدينة يعقد يوم الجمعة، يقصده بشر كثير كما إعتبر أن هذه المدينة عبارة عن حصن قديم [1]، تحول مع مرور الوقت إلى مدينة تجمع بين الصبغة التجارية ويظهر هذا من خلال إسمها والصبغة العسكرية وهذه الأخيرة ربما تكون سببا في الأولى لأن العامل الأمني ضروري لإزدهار أي نشاط إقتصادي، وهذا بالفعل ماإنعكس على هذه المدينة ،كذلك وصفها محمود مقديش بنفس الصفات التي ذكرها بها الإدريسي، وإعتبرها على مرحلة من مليانة[2]، كما أن لها موقع إستراتيجي أكثر من جيد بما أنها تقع على الطريق من آشير إلى مليانة [3].

هـ- ســـوق مـاكـســـن:

تعتبر مدينة سوق ماكسن من مدن تيهرت أشتهرت بأسواقها [4]،وهذا يدل على أنها مدينة ذات طابع تجاري، وسبب تسميتها بسوق ماكسن يعتقد بأنه يعود إلى مؤسسها ماكسن بن بلكين الحمادي[5]، لأن بعض هذه المدن تنشأ في زمن ومجال نفوذ أمير قوي فتحمل إسمه، وهي أحد المدن التي قامت على نهر شلف، ولهذه المدينة سور كما أن بها الكثير من العيون[6]، وهذا مايدل على توفر عامل الأمن بفضل السور المحيط بها وعامل المياه مما يجود به نهر شلف وعيونها الكثيرة، وهي مدينة صنهاجية [7]، من حيث مؤسسيها وغالبية سكانها، والخارج منها تقابله مدينة سوق حمزة وهي حدود بلد صنهاجة، وهي تقع على الطريق الذي يخرج من آشير إلى مرسى الدجاج[8].

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص85.

[2]- محمود مقديش:**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق:علي الزواري و محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988، ج1، ص80.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص85.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج3، ص414.

[5]- مختار حساني : **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ج2، ص306.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص64-65.

[7]- الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية** (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12م)، ترجمة : حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج2، ص96.

[8]- البكري: المصدر السابق، ص64-65.

و- مدينـــة شـــلـــف:

هي مدينة نهرية تعرف بشلف بني واطيل وهي ملك لقبيلة زواغة [1]، وصفها بن حوقل بالمدينة الحصينة، وهي مدينة مسورة لأنه كان يحيط بها سور لتوفير الأمن لساكنتها وهي كثيرة الأشجار والمزارع[2]، مايدل على أن سكانها إمتهنوا حرفة الزراعة، وهذا لوفرة المياه من خلال نهر شلف الذي ينسب إلى هذه المدينة في الأصل[3].

ومن أهم الأوصاف التي وصفت بها هذه المدينة أنها مدينة عامرة بها سوق كبيرة، مما يدل على إزدهار النشاط التجاري بها، ومنه فهي تجمع بين الطابعين الفلاحي والتجاري، ومما لاشك فيه تواجد أنشطة صناعية تتماشي وخصوصية المجال والمرحلة، وبين هذه المدينة ومدينة الغزة مسيرة يومين[4]، وهي تقع بين مدينة جليداسن وقرية بني واريفن[5]، وتعتبر مدينة شلف أحد أهم المدن التي قامت على ضفاف هذا النهر الذي يكفي أنه أخذ تسميته من هذه المدينة.

ز- مـــدينـــة تـــاجـــنـــة:

هي الأخرى من المدن التي قامت على ضفاف نهر شلف وتنطق بفتح الجيم وتشديد النون [6]، ويبدو أن إسم تاجنة هذا مأخوذ من كلمة الجنة التي شبهت بها هذه المدينة لكثرة خيراتها[7]، وقد جاءت عند الإدريسي بإسم باجة[8]، وذكرها البكري بأنها مدينة سهلية وهذا يدل على أنها مدينة ذات طابع فلاحي، كما إعتبرها مدينة كثيرة السكان، ومسورة (يحيط بها سور) ومحصنة (لها حصن)[9]، وهذا مايفسر كثرة عدد ساكنتها لتوفر العامل الأمني والذي يعد إلى جانب الماء أحد أهم عوامل الإستقرار، وأطلق الإدريسي على هذه المدينة إسم وهو بلدة

---

[1]- صالح بن قربة وآخران: المرجع السابق، ص258 ؛ ورشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ص97.

[2]- إبن حوقل: المصدر السابق ،ص89.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص343.

[4]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[5]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص109.

[6]- البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص18.

[7]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص37.

[8]- الإدريسي: المصدر السابق، ص83.

[9]- البكري: المصدر السابق، ص66.

التين وهذا لكثرة شجره بإقليمها حتى أنه كان يعمل بها من التين شرائح على شكل الطوب تحمل منها إلى كثير من الأقطار في العصر الوسيط[1]، وموقع هذه المدينة إستراتيجي فهي تقع جنوب مدينة تنس وتبعد عنها حوالي عشرة أميال[2]، وبينها ومدينة سوق إبراهيم مرحلة [3].

حـ- تـــيـــهـــرت:

تيهرت أو تاهرت بفتح التاء المثناة من فوق وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي أخرها تاء ثانية، وفي خط بن سعيد نجده عوّض الألف بياء مثناة من تحت أي تيهرت وهذا اللفظ أضبط من تاهرت[4]، وهو إسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تيهرت القديمة، وللأخرى تيهرت المحدثة[5]، أي الجديدة وهي تقع في منطقة داخلية على رأس الطريق الموصل من منطقة التلول إلى أسفل نهر شلف والمؤدي إلى البحر، كما أنها تقع على السفح الجنوبي لجبل كزول [6]، الذي يرتفع إلى 1200 متر[7]، وما يهمنا في موقع تيهرت هو أنها بنيت بالقرب من نهر مينة، ومنه فهي من مدن مجال نهر شلف، ويأتيها نهر مينة هذا من ناحية الغرب كما أنه لها نهر آخر يسمى نانس (تاتش)[8]، وهو شرق تيهرت، كلها عوامل حفزت عبد الرحمان بن رستم من بنائها في هذا الموقع وجعلها قاعدة لدولته سنة (161هـ/777م.)[9].

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص83.

[2]- صالح بن قربة وآخران: المرجع السابق، ص256.

[3]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص114.

[4]- أبي الفداء صاحب حماه: المصدر السابق، ص138- 139؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص7.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص66 ؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8.

[6]- **جبل كزول**: جبل ذكره البكري بإسم جبل جزول بالجيم، أما الحميري فقد ذكر بإسم قزول، بينما يرى صاحب الإستبصار أن إسمه قرقل والفروق بين الكلمات يعود لإختلاف فترات الكتابة ؛ أنظر –البكري: المصدر السابق، ص66 ؛ والحميري: المصدر السابق، ص199 ؛ ومؤلف مجهول: الإستبصار، ص26.

[7]- إبن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص121 ؛ وسعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي** (تاريخ دولة الاغالبة والرستمين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية)، دار منشأة المعارف الإسكندرية، د.ت، ج2، ص291.

[8]- مؤلف مجهول: الإستبصار، ص26.

[9]- محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص148.

ط- الخـــضـــراء:

مدينة الخضراء (عين الدفلة حاليا) [1]، من أهم المدن التي قامت وإزدهرت على ضفاف نهر شلف وهذا ما ذهب إليه البكري بقوله:" هي مدينة كبيرة[2]، على نهر خرار عليه الأرحاء إذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة "[3]، وسبب تسميتها الخضراء كثرة بساتينها الخضراء والنهر الذي قصده البكري هو أحد روافد نهر شلف وحتى هذا الأخير يمر بمقربة منها[4]، وهي مدينة جميلة وجليلة كثيرة العمران بها عمارات متصلة وجامع وحمام وسوق يجتمع إليه أهل تلك الناحية[5]، وهذا مايعزز مقولة البكري بأنها مدينة كبيرة،كما يظهر بأن أهلها كانوا يزاولون التجارة في سوقها الكبير بالإضافة لمزاولتهم للفلاحة وهذا يظهر من خلال وصفها بكثرة البساتين، وتتصل بهذه المدينة قرى ومدن وحصون كثيرة [6]، وهي تقع بين مدينة مليانة ومدينة بني واريفن[7]، وبينها ومدينة مليانة مسيرة يوم واحد[8].

ي- الـــغـــــزة:

مدينة الغزة (غليزان حاليا)[9]، عرفت هذه المدينة بإسم شلف طير الغزة [10]، وكان لها حظ كبير في كتابات الرحالة والجغرافين وهي أحد أهم مدن إقليم نهر شلف، ذكرها بن حوقل بقوله: "مدينة صالحة فيها سوق وحمام وتصاقب أعمالها سوق إبراهيم"[11]، كما لم يغفل عن ذكرها البكري بقوله: "يسكنها مكناسة وهي مدينة شريفة على نهر شلف كثيرة البساتين ويسكنها هوارة وبها مسجد جامع" [12]بالإضافة لوصف الإدريسي لها بقوله: "مدينة صغيرة القدر فيها سوق مشهور مشهودة لها يوم معلوم وبها حمام وديار حسنة ولها مزارع وموضعها على

---

[1]- رشيد بوروبية: الدولة الحمادية، ص143.

[2]- وصفها البكري بالمدينة الكبيرة، بينما وصفها الإدريسي بالمدينة الصغيرة؛ أنظر- البكري: المصدر السابق، ص75 ؛ والإدريسي: المصدر السابق، ص84.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص75.

[4]- الحميري: المصدر السابق، ص223.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص84 ؛ والحميري: المصدر السابق، ص223.

[6]- مؤلف مجهول: الإستبصار، ص171.

[7]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[8]- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط2، دار عالم الكتاب، بيروت، 1986، ص157.

[9]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص109.

[10]- جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص361.

[11]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[12]- البكري: المصدر السابق، ص143.

نهر شلف "[1]، وتبعد الغزة بمرحلة عن سوق ابراهيم[2]، وبينها وبين مدينة شلف مسيرة يومين وهي قريبة من قلعة دلول[3]، ومن كل هذا يمكن القول أنها مدينة صغيرة بها حمام، يدل على رفاهية العيش فيها ، وهذا يدل على أنها أهلة بالسكان وكثيرة العمران بما أن بها دور حسنة ومسجد جامع، وسوق كبيرة لها يوم معين دون غيره من سائر الأيام يمارسون بها التجارة، كما أن لها مزارع وبساتين ،كانت تسقى من النهر الذي قامت عليه المدينة وهو نهر شلف وهذا ما يعكس مزاولة أهلها لمهنة الزراعة.

هذه هي المدن التي قامت على ضفاف نهر شلف في الفترة الوسيطية مما عثرت عليه في كتب التاريخ والرحلة والجغرافيا، وقد لمست في هذه الأخيرة تقارب وصف هذه المدن، رغم إختلاف فترات كتابتها، والإستثناء وجدته عند القرماني بذكره مدينة نسبها لنهر شلف بقوله: "**كلمنت** مدينة مشهورة ببلاد الغرب مسورة على نهر يسمى شلف" [4]، ولم أجد أي إشارة لها لا في المصادر ولا في المراجع الحديثة، وكذلك عند حسين مؤنس وأقصد هنا إعتباره مدينة **أربة** من مدن مجرى نهر شلف [5]، وما يبطل هذا الرأي هو نسب بن الأثير هذه المدينة إلى بلاد الزاب بقوله: "أربة بفتح الراء والباء الموحدة مدينة بلاد الزاب العظمى"[6]، ومنه فهي من مدن إقليم الزاب ولا علاقة لها بمجال نهر شلف،كما أني لم أعثر في هذه المصادر على حصنين ذكرهما الدشراوي عند تطرقه لحملة الجيوش الفاطمية على منطقة شلف بهدم هذه الجيوش لحصني "الحمير وحضروح"[7] ونسبها لهذه الأخيرة.

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص83؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص111.

[2]- جودت عبدالكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص361.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[4]- أحمد بن يوسف القرماني (ت.1019هـ): **أخبار الدول آثار لأول في التاريخ**، تحقيق: فهمي سعد وأحمد حطيط، ط1، دار عالم الكتاب، بيروت، 1992، ص452.

[5]- حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص151.

[6]- إبن الأثير(ت.630هـ): المصدر السابق، ج3، ص451.

[7]- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب** (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص225.

2- القـــرى:

أ- قريـة بنـــو واريـفـــن: جرى خلاف في كونها قرية أو مدينة، فالكتابات الحديثة إعتبرتها مدينة وعلى النقيض من ذلك نجد المصادر الوسيطية تصفها بالقرية منوهة بكبرها، فنجد بن حوقل يذكرها بوصف القرية الأزلية التي تقع على نهر شلف[1] فحين البكري لم يذكر صفتها بأنها قرية أو مدينة وإكتفى بإعتبارها ملك لقبيلة مطغرة، عرفت بكثرة حوانيتها[2]، بينما نجد الإدريسي يذكرها بإسم وازلفن ويصفها بالقرية الكبيرة[3]، وهي تقع بجبال وعرة وشاهقة[4]، وحولها مراعي واسعة وكثيرة الكلا، ومنه يمكن إعتبارها منطقة رعوية بالدرجة الأولى[5]، دون إغفال ممارسة أهلها للأنشطة التجارية ويظهر هذا من خلال كثرة الحوانيت بها، وتمر على هذه المدينة أهم الطرق التجارية في المنطقة خلال الفترة الوسيطية كالطريق الذي يخرج من قلعة بني حماد وينتهي بتنس[6].

ب-قريـة ســوق كــران (كرام):

وردت هذه القرية في المصادر والمراجع بإسمين (كران وكرام) فنجد الجغرافي بن حوقل يطلق عليها إسم سوق كران ويصفها بكثرة المزارع والمحصنة[7]، وبنفس الإسم جاءت في الكثير من الدراسات الحديثة، والتي ذكرت أن بها سوق يعمر كل جمعة ومن هذا السوق تكون قد أخذت إسمها[8]، أما إسم سوق كرام فنجده عند البكري والذي يصفها بقوله:" قرية تسمى سوق كرام وهي على نهر شلف"[9]، وكذلك نجدها عند اليعقوبي بإسم كرام معتبرها بلد زرع[10]، وتقع هذه القرية على الطريق من قلعة بني حماد إلى مدينة تنس[11]، وكذلك على الطريق من أشير إلى مدينة مليانة[12]، ولتوفر المياه والأمن والموقع الإستراتيجي بهذه القرية نجدها إستقطبت الكثير من السكان وإزدهرا بها الجانبان الزراعي والتجاري على حد سواء حسب من زارها في العصر الوسيط.

---

[1]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[2]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص84.

[4]- ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص111.

[5]- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص108.

[6]- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية ، ص143؛ محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص154.

[7]- إبن حوقل:المصدر السابق، ص89 ؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص112.

[8]- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص143 ؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق،ج1، ص112.

[9]- البكري: المصدر السابق، ص60-61.

[10]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص142.

[11]-رشيد بورويبة: الدولة الحمادية ، ص143.

[12]- البكري: المصدر السابق، ص60-61.

ثانيا- الجـــوانـــب الإقتـــصـــاديـــة:

لقد لعب **نهر شلف** دورا كبير في **إستقطاب السكان**، الذين بدورهم أقاموا مدن على ضفافه وهذا ماسبق التطرق إليه، ومما لا شك فيه أن ساكنة نهر شلف كانت لهم **نشاطات إقتصادية**، في حياتهم اليومية مستفيدين من مياه نهر شلف، في **الجانب الفلاحي والجانب الصناعي**، مما ينتج عنه بالضرورة حركية في **النشاط التجاري**، هذا الأخير الذي ساعد في إزدهاره الموقع الإستراتيجي لإقليم نهر شلف، والذي يتوسط بلاد المغرب الإسلامي، وكذلك مرور أهم الطرق التجارية في الفترة الوسيطية بمجاله، إلى جانب محاذاته لساحل البحر المتوسط وقربه من أهم الموانئ في تلك الفترة.

1- الجانب الفلاحي :

يشترك في المجال الفلاحي عدة أنشطة، كالزراعة وتربية الحيوانات وصيد الأسماك، وهذه الأنشطة المذكورة مورست من طرف سكان نهر شلف، الذين إستغلوا مياهه أحسن إستغلال.

أ- الزراعة :

تعتبر الأراضي المحيطة بنهر شلف من أخصب الأراضي[1]، وهذا نتيجة أوديتة التي كان لها دور كبير في تكوين السهول الخصبة، كسهول شلف الغنية وسهول السرسو جنوبها[2]، وقد أظهرت لنا المصادر إقليم نهر شلف بأنه منطقة زراعية من الدرجة الأولى وبإمتياز كوصف بن حوقل لمدينة شلف بقوله:" شلف مدينة ذات سور وحصن ونهر وأشجار ومزارع"، ووصفه لسوق كرام (كران) بقوله :"له مرازع وسوان"[3]، وهذا الأخير قال فيه اليعقوبي: "بلد زرع"[4]، ربما لأن أغلب أهله مزارعين ،بالإضافة إلى وصف البكري للأراضي المحيطة بالخضراء بقوله:

[1]- أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت.781هـ): المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008، ص255.

[2]- محمد عيسى الحريري : المرجع السابق، ص231.

[3]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[4]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص142.

"وحولها البساتين "[1]، كما وصف الإدريسي ومحمود مقديش مدينة الغزة وقرية كزيانة بكثيرتي المزارع [2]، وكذلك ما قاله الإصطخري عن كورة تيهرت:"خصبة واسعة البرية والزروع والمياه"[3]، ومنه فتأثير نهر شلف وأوديته يبدوا جليا.

– الزراعة المسقية:

لقد إستغل مزارعي إقليم نهر شلف مياه هذا النهر في **الريّ**[4]، وفر لهم المياه اللازمة لزراعة المحاصيل خاصة في أوقات الجفاف[5]، فسهول شلف المنحصرة بين جبال زكار والظهرة شمالا وجبال وانشريس جنوبا هي منطقة حارة، كانت تتلقي مواد كافية للسقاية [6]، وكذلك إذا إعتمدنا على مقولة الإدريسي على مليانة: "ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف "[7]، الذي كان **يسقي** مزارعها وحدائقها، عن طريق الأرحاء المنتشرة على ضفافه، ومنه فمزارعي سهول شلف ومليانة مارسوا زراعة مسقية مستفيدين من مياه نهر شلف الذي يعبر في أو بالقرب من أراضيهم، ومما لاشك فيه أن أغلب الأراضي الزراعية التي كانت بمجال نهر شلف مارس أصحابها فيها زراعة مسقية، لعديد الإشارات في المصادر عن وجود **وسائل للرّي والسقي**، تنقل المياه للأراضي الزراعية المجاورة للنهر، والتي لابد منها لأن مستوى إنسياب الماء في النهر والواد أقل من مستوى سطح الأرض فيلجأ المزارعون إلى إستعمال هذه الوسائل[8]، **كالسواقي** التي تخرج من ضفاف نهر شلف[9]، والتي تحمل المياه إلى الأراضي المراد سقاية المحاصيل المزروعة بها، وكذلك **السواني** [10]، التي إستعملها المزارعون على طول نطاق نهر شلف فالمزارع التي كانت بنواحي سوق كرام(كران) وكذلك الخضراء مزودة بهذه السواني [11]، ونفس الحال في بني وازلفن (بني واريفن)[12] وكذلك قاموا ببناء خزانات وأحواض الماء الكبيرة وهي محكمة التصميم والهندسة وشقوا القنوات وأوصلوها

---

[1]– البكري: المصدر السابق، ص75.

[2]– الإدريسي : المصدر السابق، ص83،85؛ ومحمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص77،80.

[3]– إبن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت.منتصف القرن 4هـ): **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص34.

[4] - **الرّي**: أهم عناصر العملية الزراعية يقوم على عدة أساليب وطرق تقنية لتزويد المزروعات بالكميات الضرورية من المياه، لنموها لتعويض عدم كفاية المتساقطات الجوية خاصة في المناطق الجافة ومنه زيادة في المحاصيل ؛ أنظر– بيار جورج: المرجع السابق، ص409.

[5]- جمال الدين الدناصوري وآخران: **جغرافية العالم** (دراسة إقليمية إفريقيا واستراليا)، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ج2، ص57.

[6]– مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص52.

[7]- الإدريسي :المصدر السابق، ص84–85.

[8]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص61.

[9]- عثمان سعدي :**الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة1954**، ط1، دارا لأصالة والمعاصرة، طرابلس، 2011، ص40.

[10]– **السواني** : مفردها سانية وتتكون من عجلة مدورة تحركها الحيوانات مزودة بمجموعة من القواديس، الطينية التي تملؤ من مياه النهر أو الواد لتصبها في سواقي أو قنوات ممدودة تحت الأرض؛ أنظر– روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص218.

[11]– إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[12]– الإدريسي :المصدر السابق، ص84.

البساتين وربما وضعوا أنابيب لهذا الغرض ومنه وجهوا مياه نهر شلف حسب حاجة مناطقهم الزراعية، ومما لاشك فيه أن مزارع هذه المنطقة كانت فيها وسائل أخرى للرّي والسقي، نظرا لطبيعة المنطقة الفلاحية، لم تتعرض لها المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع.

- **المحاصيل الزراعية:.**

– العنب :

أشتهرت بلاد المغرب الأوسط بإنتشار أشجار الكروم، في إقليمها الصالح للزراعة ، ومايلفت الإنتباه تعلّق السكان المحلين بهذا النوع من المحاصيل وزراعته على نطاق واسع، وكان هذا المحصول يؤكل طازجا كما أنه كان يجفف، وقد إستخرجوا منه الخمور كما إستعملوا هذا المحصول في أغراض طبية[1]، ومن أهم مناطق إنتشاره نذكر قرية بني واريفن[2]، أو(بني وازلفن) التي أشار إليها الإدريسي بقوله:"قرية كبيرة .....لها كروم كثيرة"[3]، وكذلك الأراضي المحيطة بالخضراء من أهم المناطق إنتاجا له، وهذا لوجود إشارات في الكثير من المصادر وحتى المراجع عن إنتشار شجرة الكروم في هذه الأخيرة[4].

– التيـــــــن:

من أهم المحاصيل الزراعية المنتشرة في إقليم نهر شلف، خاصة في منطقة تاجنة وضواحيها لدرجة إطلاق الإدريسي عليها إسم بلدة التين، لكثرة شجره بإقليمها وضخامة إنتاجها من هذا المحصول، حتى ذكر بأنه يحولونه إلى شرائح على شكل الطوب، ويصدرونه إلى الكثير من الأقطار[5]، كما عرفت مدينة سوق إبراهيم وضواحيها شجر هذا النوع من المحاصيل، وبأعداد معتبرة[6].

وكثرة شجر التين هذا في منطقة تاجنة وضواحيها بشهادة الإدريسي، وبن حوقل[7]، يدل على أنه كانت هناك زراعة متخصصة أي إنفراد مناطق دون أخرى بإنتاج محاصيل معينة لخصوصية كل منطقة.

---

[1]– عبد الكريم يوسف جودت: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص48-49.

[2]– إبن حوقل: المصدر السابق ،ص89.

[3]– الإدريسي: المصدر السابق ،ص84.

[4]– إبن حوقل: المصدر السابق ،ص89 ؛ والإدريسي: المصدر السابق، ص84 ؛ ورشيد بورويبة وأخرون: **الجزائر في التاريخ**، ص227.

[5]– الإدريسي: المصدر السابق ،ص83.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ،ص46.

[7] –إبن حوقل: المصدر السابق ،ص89.

– السفرجل:

يعتبر من أكبر المحاصيل إنتشارا في مجال نهر شلف خاصة بتيهرت وضواحيها، مع جودته النادرة حتى قال فيه البكري: "تيهرت.....وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس"[1]، ومحصول السفرجل من الفواكه، ويعتبر من أكثر المحاصيل التي تشتهر بها منطقة الخضراء[2]، وكانو يأكلونه طازجا ويصنعون منه المعاجين (الرُّب) [3]، وربما كان يصدر إلى بقية المناطق لجودة هذا المحصول في هذه المناطق دون الأخرى وإلا لما حضي بكل هذا الوصف.

– الزيـــتـــــــون:

عرف هذا المجال الجغرافي زراعة الزيتون خاصة تيهرت ونواحيها، حتى أطلق عليها إسم الزيتونة وهذا لغابات أشجار الزيتون التي كانت بها، وكانت حبيبات الزيتون تصبر وتؤكل أو تعصر بطرق بدائية عن طريق هرس حبوب الزيتون بعجلة تديرها الحيوانات، ثم تعصر فتنتج زيت الزيتون ويحفظ في قلال مصنوعة من الجلود[4].

– البصـــــل:

لقد نال هذا المحصول حظه من الإهتمام في سهول نهر شلف، فكان يزرع في قرية بني واريفين والنواحي المحيطة بها وإستفاد هذا المحصول من مياه نهر شلف، والذي كان يسقى بالسواني المنتشرة على هذا النهر[5]، وهذا نفس ماذهب إليه الإدريسي بقوله "بنو وازلفن قرية كبيرة .....يزرعون عليها البصل والشهدانج"[6] ومن المحتمل أن يكون قد زرع على نطاق واسع في معظم سهول هذا المجال الجغرافي.

---

[1]– البكري: المصدر السابق، ص66-67.

[2]–إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص45.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص46-47.

[5]– محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص79.

[6]– الإدريسي: المصدر السابق ،ص84 ؛ ورشيد بورويبة وأخرون: **الجزائر في التاريخ**، ص227.

– الحبـــــوب :

لم تتطرق المصنفات التاريخية والجغرافية لهذا النوع من لمحاصيل في نطاق نهر شلف، إلا في إشارات مغتضبة رغم أنه من أهم الأغذية على مر الفترات التاريخية، ورغم توفر المياه الكافية وملائمة تربة ومناخ هذا الإقليم لهذا النوع من المزروعات، الذي نجده في تيهرت التي أنتجت سهولها سائر أنواع الحبوب[1]، لكثرة مياهها وبرودة مناخها وتلولها الصالحة لزراعته[2]، كما عرف حوض شلف زراعة **القمح والشعير والحنطة**[3]، وعرفت سهوله كذلك زراعة **الأرز** لكن في نطاق ضيق ربما لصعوبته، ويكون إنتقل لهذه المنطقة من الأندلس بعد القرن الرابع الهجري[4]، ومايميز هذه المحاصيل عن غيرها إمكانية التخزين ولفترات طويلة دون أن يصيبها الفساد.

– الكـــــتان :

كان من الطبيعي أن يقوم سكان منطقة نهر شلف بزراعة هذا النوع من المحاصيل، لتلبية حاجياتهم الضرورية منه، وعرفت زراعته في تيهرت وضواحيها[5]، مستغلة وفرة المياه، وقد ذكره اليعقوبي كأحد المحاصيل التي زرعت على ضفاف وادي شلف بقوله :"وادي شلف .....يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم"[6]، ويستعمل في في صناعة الثياب ومعالجة القروح[7]، ومن المحتمل أن تكون لقيت زراعته إهتمام كبير، لأهميته البالغة رغم أنه ليس من المحاصيل المعيشية.

---

[1]– محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص275.

[2]– إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص145.

[3]– مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية** (الأحوال السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية)، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ج2، ص27.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص54.

[5]– محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق ،ص275.

[6]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص149.

[7]– جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص55.

– السمســـم[1]:

عرفت سهول نهر شلف هذا النوع من المحاصيل الزراعية، وهذا حسب إشارة اليعقوبي بقوله : "وادي شلف ....يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم"[2]، وهذا يدل على زراعة هذا المحصول على نطاق واسع على طول ضفتي هذا النهر، خاصة بتوفر أهم عوامل نجاحه من المقومات التي سبق ذكرها، فالسمسم يزرع على شكل أحواض تسقى بالمياه وهي من شروط نجاح هذا المحصول [3].

كما كان يزرع **الشهدانج** [4]على ضفاف نهر شلف كمنطقة بنو وازلفن (بني واريفين) وكذلك زرع في هذه هذه الأخيرة محصولي **الحناء والكمون** [5]، وكذلك تمت زراعة محصول **القصبر** نواحي تيهرت [6].

ب– الثروة الحيوانية:

لقد كانت حرفة تربية المواشي (الرعي) تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة في بلاد المغرب، لأن النطاقات الزراعية تعتبر كذلك نطاقات رعوية خاصة بعد جمع المحصول الزراعي، هذا الأخير يعتبر مقرونا بالمنتوج الحيواني [7]

وهذا الأخير عرف مجال نهر شلف أصنافا كثيرة منه خاصة في تيهرت ونواحيها، على حد تعبير بن حوقل عند ذكره لتيهرت بقوله :" أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال **والبراذين**[8] الفراهية [9]"، بالإضافة للأبقار على على حد تعبير الإدريسي بقوله:"تاهرت ....وأما البقر والغنم فكثيرة بها"، وكذلك عرف هذا المجال تربية **النحل** ونعرف هذا من خلال إنتاج المنطقة للعسل، فقد قال الإدريسي فيما تجود به تيهرت:"وكذلك العسل والسمن"[10]، بالإضافة **لصيد الأسماك** على طول ضفاف أودية ونهر شلف خاصة في مصبه، الذي كان يحتوي

---

[1]– **السمسم**: هو الجلجلان وهو نبات ضعيف يستحسن تأخير زراعته فترة البرد لتجنب إذائه؛ أنظر– إبن بصال الطليطلي: **كتاب الفلاحة**، ترجمة: خوسي مارية بيكوس ومحمد عزيمان، مطبعة كرماديس بمعهد مولاي الحسن، تطوان، 1955، ص114.

[2]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص149.

[3]– إبن بصال: المصدر السابق، ص114.

[4]– **الشهدانج**: من أصل آسيوي تصنع منه الخيوط القوية والثياب والورق ؛ أنظر: عبد الكريم يوسف جودت: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص56.

[5]– الإدريسي: المصدر السابق ،ص84.

[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص231.

[7]– إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص158–159.

[8]– **البراذين**: نوع من الخيل سيره ثقيل ، أنظر– إبن منظور: المصدر السابق، ج3، ص252.

[9]– إبن حوقل: المصدر السابق، ص86.

[10]– الإدريسي: المصدر السابق، ص87.

على كميات كبيرة من الأسماك الجيدة الكبير منها والصغير وهو طيب الطعم في الغالب[1]، خاصة **سمك الشهبوق الشهبوق** وهذا الأخير طوله يصل الذراع وهو كثير الشوك، يظهر في نهر شلف في زمن الورد أي فصل الربيع فقط [2].

ومنه فساكنة ضفاف نهر شلف والمناطق المجاورة إليها عرفت كيف تستغل هذه السهول والمراعي الكثيرة الكلأ، في تربية الكثير من أنواع الحيوانات كما سبق ذكره، والملفت للإنتباه أنهم إستغلوا هذه الروافد المائية، في صيد السمك والذي من الطبيعي أنهم يكونوا إتخذوه طعاما.

2- الجانب الصناعي :

أغلب الصناعات التي عرفتها منطقة شلف كانت صناعات تحويلية مرتبطة بما تنتجه سهولها من إنتاج زراعي وحيواني يظهر لنا من خلال بعض الإشارات في المصادر والمراجع وهذه الإشارات ليست نصوص صريحة.

أ- الصناعات الغذائية :

كتحويل التين الذي كان يصنع على شكل شرائح [3]، خاصة عند غزارة المنتوج بكميات أكثر من حاجياتهم منه وهكذا يتجنبون فساده ورميه، ونفس الحال بالنسبة **للعنب** الذي هو الأخر يجفف ويحول إلى زبيب كما تصنع منه الخمور وعقيد العنب وحتى أدوية بعض الأمراض[4]، وكذلك **الزيتون** يعصر بطرق بدائية عن طريق هرس حبوب الزيتون بعجلة تديرها الحيوانات، ثم تعصر فتنتج زيت الزيتون، وكذلك **طحن الحبوب** بفضل الطواحين التي أقاموها فهناك إشارات لوجود طواحين مائية على الأودية التي تمر بتيهرت كوادي مينة مستفدين من قوة تدفق المياه لإدارتها وتحريكها[5]، كما كانو يستخرجون من **نبات السمسم** الزيوت هذه الأخيرة التي أستعملت حتى لأغراض طبية [6].

---

[1]- حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص251؛ ومرمول كربخال: المصدر السابق، ج1، ص38.

[2]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص148.

[3]- الإدريسي المصدر السابق،ص:83.

[4]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص49.

[5]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص232.

[6]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص55-56.

ب– الصناعات النسيجية:

لقد إنتشر على نطاق نهر شلف الكثير من الصناع والحاكة كأهالي مليانة[1]، كما أنه أستفيد من العناصر الفارسية وهذا ماساهم في ظهور **المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية**[2]، لتوفر خامات الصوف والكتان من المراعى والمزارع [3]، إلى جانب ماتنتجه نواحي شلف من القطن [4]، كل هذا ساهم في إزدهار هذا النوع النوع من الصناعات التي مارستها ساكنة شلف في العصر الوسيط.

ولم يقتصر الأمر على هذين النوعين من الصناعات بل شمل صناعات أخرى بفضل إستفادة سكان مجال نهر شلف من خبرات أجنبية، كالعناصر الفارسية في تيهرت[5]، فظهر الكثير من الصناع والخراطين كما سبق الإشارة إليه خاصة في مليانة ونواحيها، فقد صنعوا **الأواني الجميلة من الخشب**[6]،وكذلك **الأواني الفخارية والخزف** هذه الأخيرة كان لها الكثير من الإستعمالات[7]، وكذلك **الأواني الزجاجية والتحف المعدنية** وحتى **العطور**[8]، وكذلك **صناعة السروج** خاصة بمليانة لأن الأراضي المجاورة لهذه المدينة كانت تهتم بتربية الخيول[9].

ومنه فالسكان المستقرين على ضفاف أودية نهر شلف عرفوا كيف يستغلون ما يجود به إقليمهم من المواد الأولية الخامة، وحولوها إلى منتجات إستهلاكية على إختلاف أنواعها.

---

[1]– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص58.

[2]– محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص276 ؛ محمد عيسى الحريري: المرجع السابق ،ص232.

[3]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق ،ص232.

[4]– محمد الطمار: المغرب في ظل صنهاجة، ص173.

[5]– محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص276.

[6]– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص58.

[7]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص232.

[8]– محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص276.

[9]– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص87.

3- الجانب التجاري:

كان من الطبيعي أن تنعكس وفرة وتنوع الإنتاج بنوعيه الفلاحي والصناعي، والموقع الجغرافي الأكثر من رائع على الجانب التجاري بالإيجاب، فظهرت الأسواق والمعاملات التجارية وتنوعت السلع المعروضة بها، وتحولت مدن هذا المجال إلى أهم مراكز عبور الطرق التجارية في بلاد المغرب ككل في العصر الوسيط، فأهل المنطقة وخاصة أهل تيهرت كانوا يجالسون التجار من المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وتجار الأندلس[1].

أ- الأسواق التجارية:

لقد عرفت الأسواق إنتشارا واسعا على طول مجرى نهر شلف بحكم إنتشار المدن والقرى على هذا المجرى وهاته الأخيرة، كان من اللازم أن تكون بها أسواق، لتلبية حاجيات السكان من مختلف السلع، والأكثر من هذا وجود مدن وقرى بهذا المجال يحمل إسمها في بدايته **عبارة سوق**، كمدينة سوق إبراهيم وقرية سوق كرام (كران)[2]، ومدينتي سوق ماكسن[3]، وسوق كزيانة[4]، ويرجع البعض أصل تسمية هذه المدن والأسواق إلى أشخاص، كسوق إبراهيم التي حملت إسم صاحبها وهو إبراهيم بن محمد بن سليمان عاصر اليعقوبي إبنه عيسى[5]، وصاحب سوق ماكسن يعتقد بأنه ماكسن بن بلكين الحمادي[6]، وسبب حملها لأسماء أشخاص معينين معينين لأنها تنشأ في زمن ومجال نفوذ أمير قوي فتحمل إسمه[7]، وليس بالضرورة أن يكون صاحب السوق المنسوبة المنسوبة إليه أميرا فإبن وردة في تيهرت كانت له سوق تحمل إسمه ولم يكن أميرا[8]، وكانت الأسواق تقام بنوعيها **اليومية والأسبوعية**،حيث التجمعات السكانية، وأماكن تواجد المياه، وفي المناطق المتخصصة في إنتاج نوع معين من السلع[9]، ومن أسواق المنطقة، سوق مدينة شلف وهو سوق كبير[10]، وكذلك أسواق تيهرت العامرة[11]، وسوق

---

[1]- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص219-220.

[2]- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق ، ص175.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي** (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، ج3، ص414.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص85.

[5]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص143.

[6]- مختار حساني: **الحواضر والامصار الإسلامية الجزائرية**، ج2، ص306.

[7]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص134-135.

[8]- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص177.

[9]- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، ص134-135.

[10]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[11]- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص175.

وسوق مدينة الخضراء الذي يجتمع إليه أغلب أهل تلك النواحي[1]، وأسواق مدينة سوق إبراهيم التي كان أحدها أسبوعي وهو مشهور ويقام بيوم معلوم[2]، بالإضافة إلى أسواق مدينة سوق ماكسن[3]، وسوق مدينة مليانة الجامع الجامع لساكنة تلك المنطقة[4]، كما أن هذه الأخيرة تعتبر أرخص بلاد إفريقية أسعارا على حد تعبير صاحب كتاب كتاب الإستبصار[5]، وكذلك سوق مدينة الغزة[6]، وأسواق مدينة سوق كزيانة[7]، كما توجد سوق بقرية بني واريفن واريفن ويظهر هذا من خلال الإشارات الكثيرة بوجود العديد من الحوانيت بها[8]، وسوق بقرية كرام(كران) وهو من الأسواق الأسبوعية[9].

هذا العدد الكبير من الأسواق السابقة الذكر، إحتوت على **البضائع** العديدة منها ما هو إنتاج محلي، ومنها ما هو مجلوب من بلاد الأندلس، وبلاد السودان، ومدن المغرب، ومن المشرق، كالمواشي والصوف والجلود والشحم والسمن والألبان والحبوب على إختلاف أنواعها، وكذلك المواد ذات الإستهلاك اليومي كالملح والسكر بالإضافة للألبسة والأفرشة وبعض الأواني ،وغيرها من البضائع التي لا يسع المجال لذكرها كلها[10].

ولم أعثر عن أي إشارات تخص **المعاملات التجارية** في نطاق شلف في المصادر وحتى المراجع، عدا منطقة تيهرت التي كان تجارها يعتمدون على **المقايضة** بمقايضة سلعهم مقابل سلع أخرى[11]، كما كانوا يستعملون في معاملاتهم التجارية **العملة**، والمتمثلة في الدراهم والدنانير التى ضربت بتيهرت، بالإضافة إلى إستخدامهم للمكاييل والموازين القرطبية والقيروانية [12].

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص84.

[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص83.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي** (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، ج3، ص414.

[4]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[5]- مؤلف مجهول: الإستبصار، ص171.

[6]- إبن حوقل: المصدر السابق، ص89.

[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص85.

[8]- البكري: المصدر السابق، ص69.

[9]- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص143 ؛ ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص112.

[10]- إبراهيم بكير بحاز:المرجع السابق، ص178.

[11]- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص178.

[12]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص235.

ب- الطرق التجارية:

تعتبر طرق التجارة الرئيسة القادمة من المشرق طرق داخلية ليست طرق ساحلية، خاصة قبل الغزو الهلالي تلتقي في القيروان لتواصل طريقها إلى مدينة القلعة والمسيلة، ليخترق هذا الطريق سهول نهر شلف فيما بعد والتي منها يصل إلى مدينة تنس على ساحل البحر المتوسط[1]، ومن المدن والقرى التي تقع على نهر شلف، والتي يمر عليها طريق المسيلة تنس مدن سوق كرام ومليانة والخضراء وقرية بني واريفن[2]، والجدير التنويه به أنه ضم الكثير من من المدن والقرى التي تقع على ضفاف نهر شلف، وهناك طريق داخلي يمر على كل من شلف ثم الغزة ثم تيهرت مسيرة يومين منها إلى قلعة مغيلة دلول، هذه الأخيرة والتي منها إلى مستغانم مرحلة[3]، هذا فيما يخص الطرق التجارية التى تخترق مجال نهر شلف، كما أن هناك مسالك تجارية تربط تيهرت بمناطق أخرى يجدر بي ذكرها، الأول يربطها بالقيروان يقدر بستة وثلاثين مرحلة، والثاني بفاس عبر تلمسان يستغرق مسيرة خمسين يوم، بالإضافة إلى طريق أخر يربطها بالأندلس عبر ميناء تنس الذي يبعد عنها مسيرة أربعة أيام،كما أن هنالك طرق أخرى تربطها بسجلماسة وورجلان وهذه الأخيرة ببلاد السودان[4].

ومنه كان يخترق مجال نهر شلف أهم طرق التجارة في العصر الوسيط، فكانت مدنه وقراه محطا للقوافل التجارية، خاصة القادمة من القيروان عبر المسيلة، دون نسيان دور تيهرت التجاري بحكم أنها ملتقى طرق التجارة الصحراوية القادمة من بلاد السودان.

[1]- عز الدين موسى: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي** خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص95.

[2]- صالح بن قربة وآخران: المرجع السابق، ص247-251.

[3]- صالح بن قربة وآخران: المرجع السابق، ص258-259.

[4]- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص188-214.